

أضواء البيان

@ 433 @ قوله تعالى : { فَقَالَ الْإِمْلَأُ السَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا
نَرَاكَ إِلَّا بِشَرٍّ أَمْثَلُ لِلْأَنَا وَمَا نَرَاكَ إِلَّا سَازِجًا لِلْأَنَا هُمْ
أَرَادُوا لَنَا بِأَدَى الرَّأْيِ } إلى قوله { وَمَا أُنَا بِطَارِدِ السَّذِينَ
ءَامِنُوا إِنْ هُمْ إِلَّا قَوْمُ رَبِّهِمْ وَلَا كُنَّا أَرَاكُمُ قَوْمًا تَجْهَلُونَ } .

وقد دلت هذه الآية وأمثالها ، على صدق مقالة هرقل حينما سأل أبا سفيان ، عن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم : أنهم سادة القوم أم ضعفاؤهم ؟ فقال : بل ضعفاؤهم . فقال : هكذا هم أتباع الرسل . .

وقال العلماء في ذلك : لأنهم أقرب إلى الفطرة ، وأبعد عن السلطان والجاه ، فليس لديهم حرص على منصب يضيع ، ولا جاه يهدر ، ويجدون في الدين عزاً ورفعة ، وهكذا كان بلال وصهيب وعمار ، وهكذا هو ابن أم مكتوم رضي الله عنهم . { أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى * فَأُتِيَ بِهِ تَصَدَّقَ * وَمَا عَلَيْهِ كُفٌّ يَرْزُقُكَ * وَالَاحْزَنُ } . بيان لموقفه صلى الله عليه وسلم من جميع الأمة ، وحرصه على إسلام الجميع حتى من أعرض واستغنى ، شفقة بهم ورحمة ، كما بين تعالى حاله صلى الله عليه وسلم بقوله : { عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ * حَرِيصٌ عَلَيْهِمْ كُفُّهُمْ } وكقوله : { فَلَا عِلَّاءَ لَكَ بِأَخْرَجُ زُفُوفُكَ * عَلَاءُ أَثَارِهِمْ * إِنْ لَمْ يُوْثِقُوا بِهِ إِذَا الدَّيْثُ أَشْفَا } . .

وقوله : { وَمَا عَلَّيْكَ إِلَّا - يَزْكِي } ، بيان أنه صلى الله عليه وسلم ليس عليه ممن لا يتزكى ، وقد صرح تعالى بذلك في قوله : { إِنَّمَا آتَيْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } وقوله : { وَمَا عَلَّيكَ إِلَّا - يَزْكِي } ، وقوله : { لَّا يَخْلُقُ شَيْءًا إِلَّا هُوَ يُصَوِّرُهُ } ، ومثل ذلك

وقد جمع الأمرين من الجانبين في قوله تعالى عن نوح عليه السلام { وَ-مَآ أَزَالَ } بطارد المُمؤَّمنين * إِنْ أَزَالَ إِلَّا زَذِيرٌ مَّبِينٌ { . { كَلَّا - زَهَّأ تَذَكَّرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * فَى مُحْضٍ مَّكْرٌ مَّة * مَرُّ فُوءَةٍ مَّطَاهَرَّة * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ { . معلوم أن كلمة : كلا : ردع عمَّا سبق ، وهو في جملته منصب على التصدي لمن استغنى ؟ والإلحاح عليهم والحرص على سماعهم منه ، ولكن ا تعالى يقول : إن منزلة القرآن والوحي والدين أعلى منزلة من أن تبذل لقوم هذه حالتهم فهي على ما هي عليه من

